# دوافع الذئب

الرجل الذي له قلبٌ من زنبق،
وروح من الخروب ، ولسان سماوي
كالحلو "فرانثيسكو دي أسيس"[38]
المرافق لحيوانٍ عبوسٍ ومتوحش،
إنه وحش مرعب، مصنوع من دم ولصوصية
إنه مزاودُ غضب، وعيون من شر
إنه ذئب "جوبيا"، الذئب المرعب
سعران، روعَ ما حوله
إنه قاسٍ لم يترك قطيعاً
أكل حملاناً، وأكل رعاةً
وقتلاهُ وآثارهُ المدمرة لا حصر لها

[38]- فرانثيسكو دي أسيس، قديس مسيحي

صيادونَ أقوياء مسلحون بالحديد
تحطموا أمامه، وترك آثار أنيابه القاسية
على الكلاب الشجاعة
كما ترك آثارها على التيوس والحملان

خرج فرانثيسكو:
وبحث عن الذئب
في جحره.
عثر على الوحش الضخم بالقرب من الكهف
الذي ما أن شاهده حتى هجم عليه بوحشية
أما فرانثيسكو فقد رفع صوته الرقيق
رافعاً يده،
وقال للذئب الغاضب:
-سلاماً يا أخي الذئب.
تأمل الحيوان الرجل ذي العباءة الخشنة
وتخلى عن شكله الغاضب
وأطبق فكيه المتوحشتين وقال:
-حسن، حسن، أخي فرانثيسكو.

فرد القديس: كيف؟
هل من العدل أن تعيش أنت بالرعب والموت؟
وهل الدماء التي تنثرها بأعمالك الشيطانية
والآلام والرعب الذي تنشره،
وبكاء الفلاحين، والصراخ،
وآلام مخلوقات الله الأعظم
لا تكفي لرواء عطشك الجحيمي،
هل أنت من الجحيم؟
هل صنع حقدك الأبدي من نار إبليس؟
ورد الذئب بتواضع:
-إنه الشتاء القاسي، فالجوع قاتل!
ولم أجد في الغابة المتجمدة ما يؤكل،
فبحثت عن الحيوانات الأليفة،
وأكلت أحياناً الحيوانات والراعي.
أما الدم؟
فقد شاهدتُ أكثر من صياد على جواده،
يحملُ السلاحَ في كفه
ويطاردُ الخنزيرَ البري أو الدبَ أو الغزالَ،
ورأيتُ أكثرهم ملطخين بالدماء

والجراح، والتعذيب
وسمعتُ الحشرجات المليئة بالغضب
لحيوانات الله سيدنا.
ولم يكن ذلك لإشباع جوع،
إنه لمجرد الصيد.
أجاب فرانثيسكو: توجد في الإنسان كوامن شريرة.
لأنه مولود بالخطيئة.
إنه لمحزن.
لأن روح الحيوان البسيطة أكثر طهارة.
وأنتَ سوف تجد منذ اليوم ما تأكله.
وسوف تتركَ القطعانَ وأهل هذه البلاد في سلام.
وأن يغير الله طباعك الجبلية!
-حسن يا أخي فرانثيسكو دي أسيس،
أعاهدك أمام الله الذي يحيي ويميت،
وأمدُ ساقي علامة على الأيمان بالقسم.
ومد الذئب ساقه إلى أخيه دي أسيس
الذي مد له يده هو الآخر،
وذهبا معاً إلى القرية،
ما أن شاهده الناس حتى نظروا إليه دون أن يصدقوا ما يرونه،

فقد كان الذئب المتوحش يسير خلف الكاهن،
خافضاً رأسه، ويتبعه في هدوء
كما لو كان كلبَ صيد، أو حملاً وديعاً.

طلب فرانثيسكو الناس إلى الساحة
ووعظهم هناك.
وقال: أمامكم الآن صيد لطيف.
الأخ الذئب يأتي معي،
وأقسم إنه لن يكون عدوكم بعد الآن،
ولن يكررَ هجماته الدموية.
وبالمقابل أن تقدموا انتم الطعام
لمخلق الله المسكين.
-ليكن ما تريد؟
أجابه كل سكان القرية.
وبعدها، علامة على الرضاء
حركَ الحيوانُ الطيبُ رأسه وذيله.
ودخل مع فرانثيسكو دي أسيس إلى الدير.

ظل الذئب هادئاً لبعض الوقت
في الحرم المقدس.

كانت أذناه تسمعانِ الصلوات
فتغرورق عيناه بالدموع.
تعلم ألف شكر ولعب ألف لعبة.
عندما كان يذهب إلى المطبخ خلف الرهبان.
وعندما كان يصلي فرانثيسكو صلاته
كان الذئب يلعق خفيه.
يخرج إلى الشارع،
يذهب إلى الجبال، ويهبط إلى السهل،
كان يدخل البيوتَ فيقدمون له شيئاً ليأكله،
وينظرون إليه ككلب أليف.
في يوم من الأيام، غاب فرانثيسكو،
والذئب اللطيف،
الذئب الأليف والطيب، الذئب الأمين.
اختفى، وعاد إلى الجبل.
وبدأ عواءه وهجماته من جديد.
وبدأ الإحساس بالرعب والخوف يحل
بين الجيران والرعاة،
وفاض الرعب فيما حولهم.
ولم تفلح الشجاعة ولا السلاح،

فالحيوان المتوحش
لم يوقف هجماته المتوحشة أبداً.
كما لو كان قد امتزج بنيران الشيطان

عندما عاد القديس الإلهي إلى القرية،
استقبله الجميع بالشكوى والعويل،
وقدموا له ألف شهادة على أقوالهم،
وعلى ما عانوه وما فقدوه بسبب
ذلك الذئب الشيطاني،
ناكر الجميل.

احتد فرانثيسكو دي أسيس
ورحل إلى الجبل،
بحثاً عن الذئب القاتل.
ووجده أمام كهفه،
وقال: باسم سيد هذا الكون المقدس
اسكت أيها الذئب الحانث
وأجبني، لماذا عدت إلى الشر؟
أجبني، فأنا أسمعك،

وكما في معركة صامتة أجاب الحيوان،
بفم ينفث الرغاوي والعيون تقدح شرراً،
أخي فرانثيسكو، لا تقترب كثيراً...
لقد كنتُ أنا مطمئناً هناك في الدير
وأخرج إلى القرية،
وأقنع بما يقدمونه لي،
وآكله بهدوء،
وأكثر من هذا، بدأتُ أشاهدُ أنه في كل البيوت
يسكن الحسد والحنق والغضب،
وتتقدُ نار الكراهية في كل الوجوه
وتعلوها الشهوانية والكذب
الأخوة يحاربون الأخوة،
في حرب يخسر فيها الضعفاء ويفوز الأشرار
المرأة والرجل ككلب وكلبة،
وفي يوم قرروا مطاردتي بالهراوات،
لأنهم رأوني متواضعاً، ألعق الأيدي والأقدام،
وأنفذُ تعليماتك المقدسة،
وكنتُ اعتبرَ كل المخلوقات إخوة لي:
أخوتي البشر، وأخوتي الثيران،

وأخواتي النجوم وإخوتي الحشرات،
وهكذا ضربوني وطردوني خارج القرية.
وكانت ضحكاتهم كماء مغلي
فنبعت من داخلي جذوة الوحشية،
وفجأة شعرت بأنني الذئب الشرير،
وأن هذا أفضل لي من كل أولئك الناس الأشرار،
وبدأت صراعي من هنا.
لأدافع عن نفسي وأحصل على طعامي،
كما يفعل الدب، والخنزير البري،
وللبقاء على قيد الحياة لا بد من القتل.
دعني أعيش في الجبل، بين الصخور،
دعني أحيا بحريتي.
واذهب إلى ديرك، يا أخي فرانثيسكو،
واصل طريقك، وواصل قدسيتك.

لم يقلْ القديسُ فرانثيسكو شيئاً.
نظر إليه نظرة عميقة،
وانطلقت منه الدموع والبكاء.
وتحدث من قلبه مع الله الباقي،
وحملت ريح الغابة صلواته،
والتي كانت:
يا أبانا، الذي في السماء.